الأنساق الثقافية وصورة المرأة في " أخبار النساء " لابن الجوزي

The cultural layouts and the woman image in " Akhbar alnesa " by Ibn Al-jawzi

د / ميساء الخواجا *

تاريخ الإرسال: 2019/11/16	تاريخ القبول:2019/11/22	تاريخ النشر:2019/12/25

الملخص:

شكلت المرأة وصورتها المثالية كما تراها الثقافة مجالا خصبا وغنيا للباحثين في النقد النسوي والنقد الثقافي على اعتبار أن المخيال الجمعي قد عمد إلى تكوين صور متعددة لها فيها ما هو سلبي وآخر إيجابي . سيعنى هذا البحث بتمثلات المرأة وصورها في نمط خطابي أدبي هو " الخبر " ، مركزا على كتاب " أخبار النساء " لابن الجوزي . وسيبحث ، مستعينا بالنقد الثقافي وبعض آليات النقد النسوي ، في الأنساق الثقافية الكامنة وراء أخبار النساء وحكاياتهن ،مفترضا أن الفكر الذكوري والثقافة السائدة قد استمدت قوتها من خلال الاعتماد على خطاب فني جمالي هو " الخبر " الذي يخفي بحيله البلاغية جمله الثقافية التي تروى بطريقة سردية تستقطب المتلقي وتثير اهتمامه ، ومن ثم يمرر الخطاب مفاهيمه ومواقفه التي اكتسبت مشروعيتها الفنية عبر تقاليد أدبية راسخة من جهة ، ويسهم في نقل المفاهيم الذكورية الثقافية حول المرأة وطبيعة الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها أو أن تبتعد عنها لتنسجم في الكل الثقافي من جهة أخرى .

الكلمات المفتاحية :

خطاب ، نسق كامن ، جملة ثقافية ، ثقافة ذكورية ، تقسيم جندري ، هيمنة ، تحيز

المؤلف المرسل :ميساء خواجا Mais112@gmail.com

* جامعة الملك سعود / المملكة العربية السعودية Mais112@gmail.com

Abstract:

As perceived by culture, Woman and her ideal image formed a fertile and rich field for cultural criticism and feminist criticism researchers. It is because the group imagination deliberately shaped several images of her going between the positive and the negative. This research will address Woman's representations and her images in Ibn Al-Jawzi's book The Stories of Women "Akhbar al Nissaa". Furthermore, benefiting from cultural criticism and some mechanisms of feminist criticism, this research will delve into inherent cultural patterns behind the stories (akhbar) and tales of women. It will suppose that masculine thought and the prominent culture had inspired its strength by relying on an artistic and esthetic discourse that is "al-khabar", which conceals with its rhetorical tricks its cultural sentences that narrate in a sardonic way attracting and capturing the attention of the receiver. This leads to the discourse passing its concepts and stances that earned their artistic legitimacy through firm literary traditions, andit contributes to in conveying masculine cultural concepts about women and the nature of traits with which women should abide or forsake in order to fit into the cultural whole.

*** *** ***

مدخل :

يذهب كثير من الدارسين إلى أن الفكر واللغة لا ينفصلان ، فأحدهما بمثابة تجل للآخر ، ومن ثم فإن الفكر يتمظهر عبر اللغة والعكس صحيح . هذه العلاقة الجدلية يمكن أن تدفع الدارس للتفكير فيما وراء تجليات الخطاب اللغوي على اعتبار أن الاهتمام بدراسة السياق الثقافي داخل الخطاب سوف يساعد على فهم كثير من إشكالياته ، وعلى فهم نماذج وأفكار وآراء يقف الدارس أمامها محتارا . من هنا يمكن اعتبار العلامة اللغوية مركزا تتجلى خلفه الذاكرة الثقافية ، وأداة تمرر من خلالها الثقافة أنساقها إلى المتلقي ليعيد إنتاجها مرة أخرى عبر خطاب جديد ومحمولات راسخة تتسلل فيه وعبره ، ومن ثم تكتسب المصداقية عبر الاستمرارية والتكرار وإعادة الإنتاج . وبذلك تتقاطع الثقافة الجمعية مع الخطاب الفردي ، ولفهم أحدهما لا بد من النظر في الآخر وفي السياق الثقافي أو النظام الاجتماعي الذي سمح لذلك الخطاب بالظهور . وفي هذا السياق يمكن إعادة النظر في فهم تداول معان بعينها وصفات مخصوصة حددها الخطاب الأدبي للمرأة دون الرجل ، وارتباط ذلك بسياقات ثقافية ومخزونات أيديولوجية ترسخت بمساعدة الدعم

الاجتماعي والثقافة المهيمنة ، وسيطرت على أنماط الخطاب وإعادة إنتاجه ، لتصير أنساقا غير قابلة للنقاش أو المساءلة .

من المعروف أن التحليل الثقافي يهدف إلى فهم الاتجاهات العامة لثقافة ما ، وتحديدها وتتبعها وملاحظة التأثيرات والمؤثرات التي تخضع لها ، وما ينتج عن ذلك من مظاهر . ويقتضي هذا رصد مكونات الثقافة في البداية ، ثم تتبع التغيرات والتعديلات التي تطرأ عليها ، والدور الذي تلعبه في استمرار الحياة الاجتماعية وتماسكها ، وإعطاء المجتمع هويته الخاصة .[1] ومن هنا تعتبر الثقافة رموزا وعلامات لها معان تحتاج إلى تفسير ، حيث يتم تكون المعنى من خلال الجمع بين هذه الرموز والحفر فيها للبحث عن النسق الكامن خلفها . وقد شكلت المرأة وصورتها المثالية كما تراها الثقافة وتحددها محالا خصبا وغنيا للباحثين في النقد النسوي والنقد الثقافي على اعتبار أن المخيال الجمعي قد عمد إلى تكوين صور متعددة لها فيها ما هو سلبي وآخر إيجابي . والتراث الثقافي والأدبي يحملان أنساقا مضمرة ساهمت في تكوين تلك الصور وفي إعادة إنتاجها مرة بعد مرة بشكل واع أحيانا وغير واع في أحيان أخرى فبدت تلك الصور وكأنها نماذج بدهية وثابتة للمرأة كما هي أو كما تراها الثقافة بصورة أدق .

من المعروف في الدراسات النسوية أن الخطاب الذكوري القديم كان يحتقر المرأة ويضعها ،في عدد من الثقافات القديمة ، في مرتبة بين الرجل والعبد ، كما في فكر أفلاطون وأرسطو وغيرهما . وقد استمرت هذه الفكرة التي تنمط المرأة وتحصرها في صفات جمالية وأخلاقية معينة ، كما تحصر دورها في الإنجاب والحفاظ على استقرار الأسرة وتربية الأبناء والعناية بشؤون المنزل، ويضعها في مرتبة أدنى من الرجل وينظر إليها باعتبارها " آخر " أقل مكانة ، أو " ناقص رجل " كما تعبر عن ذلك النسويات . وهو ما يمكن أن نلاحظه في عدد من الثقافات بما فيها الثقافة العربية بدءا من الجاهلية حتى عصور متأخرة ، حيث استمر الفكر الذكوري رغم تشريعات الإسلام وقوانينه فاختلط الديني بالثقافي والاجتماعي، ثم عاد ليتسلل إلى الخطاب الأدبي ، ويختفي تحت خطابات تبدو في ظاهرها وكأنها تعيد إنصاف المرأة وتعيد تقييم مكانتها في المجتمع ، وتؤطر لعلاقتها مع الرجل لكنها تخفي خلفها نسقا ثقافيا راسخا يؤكد دونية المرأة قياسا إلى الرجل.

لقد حفل التراث الأدبي العربي بعدد من الخطابات الأدبية التي يمكن أن يلاحظ فيها التصنيف الثقافي للمرأة على المستويين الشعري والنثري . وننطلق هنا من افتراض أن الثقافة العربية تخفي تحيزاتها ضد المرأة ، ومن هنا سيعنى هذا البحث بتمثلات المرأة وصورها في نمط خطابي أدبي هو " الخبر " ، مركزا على كتاب " أخبار النساء " لابن الجوزي . وسيبحث ، مستعينا بالنقد الثقافي وبعض آليات النقد النسوي ، في الأنساق الثقافية الكامنة وراء أخبار النساء وحكاياتهن ، مفترضا أن الفكر الذكوري والثقافة السائدة قد استمدت قوتها من خلال الاعتماد على خطاب فني جمالي هو " الخبر " الذي يخفي بحيله البلاغية جمله الثقافية التي تروى بطريقة سردية تستقطب المتلقي وتثير اهتمامه ، ومن ثم يمرر الخطاب مفاهيمه ومواقفه التي اكتسبت مشروعيتها الفنية عبر تقاليد أدبية راسخة من جهة ، ويسهم في نقل المفاهيم الذكورية الثقافية حول المرأة وطبيعة الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها أو أن تبتعد عنها لتنسجم في الكل الثقافي من جهة أخرى . وسيحاول الإجابة عن عدد من الأسئلة نحو : ما هي الأنماط والتمثلات التي ظهرت فيها المرأة ، وما هي الأنساق الثقافية الكامنة خلفها في محاولة للكشف عن مدى تحيز الثقافة ضدها ، ووضع اليد على التصورات التي كونتها الثقافة عنها ومن ثم أسهمت في ترسيخها جيلا بعد جيل .

لقد شكلت كتب أخبار النساء خطابا كانت المرأة فيه نصا تتم صياغته من قبل الرجل (المؤلف) الذي يروي خبره بصورة جمالية تبدو في ظاهرا تأريخا للنساء وسردا لأخبارهن ، غير أن ذلك الخطاب يحمل بعدين أساسيين أولهما حاضر في البعد اللغوي المكشوف وهو النص الحاضر الذي نعرفه عبر تجلياته الجمالية ، أما البعد الآخر فهو الذي يمس المضمر الدلالي للخطاب ، وهو العنصر الفاعل والمحرك الخفي الذي يتحكم في كافة علاقاتنا مع النص ويوجه سلوكياتنا العقلية والذوقية .[2] هنا يصير النص الظاهري مادة أولية لقراءة المضمر خلفه ، فقد كسرت الدراسات الثقافية مركزية النص ، فلم تعد تنظر إليه بما أنه نص ، بل بما يكشف عنه من أنظمة ثقافية ظلت تترسخ عبر الإنتاج وإعادة الإنتاج . وتشكل تلك الأنظمة أنساقا ثقافية تولد ما أسماه عبد الله الغذامي بالدلالة النسقية التي ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكل التدريجي إلى أن اصبح عنصرا فاعلا ، لكنه وبسبب نشوئه التدريجي تمكن

من التغلغل غير الملحوظ وظل كامنا هناك في أعماق الخطابات مما مكنه من الفعل والتأثير غير المرصود ، ومن ثم التحكم في الأفراد .[3] والنسق المضمر ، بذلك ، هو من صنع الثقافة لا الأفراد حيث تقوم بصياغته بصورة ضمنية وغير واعية ليستهلكه القراء في عمليات معقدة من التمثل والإدماج ، وهو ما يمكن أن يفسر لإقبال الجمهور على استهلاك تلك النماذج والإعجاب بها .

الثقافة وتقسيم الأدوار الجندرية :

عادة ما تقوم الثقافة بإنتاج تصوراتها للكون وللأشياء المحيطة ، كما تقوم أيضا بإنتاج مفاهيمها الخاصة حول الرجل والمرأة وفق محددات تختلف من ثقافة إلى أخرى . ويبرز عدد من الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية والسيكولوجية أن منظومات الثقافة وأنساقها وقيمها تؤثر بشكل كبير على تمثلات ووعي الجنسين ، وعلى رؤاهما وتصوراتهما ، سلبية كانت او إيجابية ، للذات وللآخر المختلف الجنسي ، ولمجمل حقوقهما وأدوارهما ومواقعهما ومكانتهما وصورتهما الاجتماعية ، كما تساهم في تحديد رؤيتهما للمجتمع وللكون وهو ما يمكن تسميته بـ " ثقافة النوع الجنسي " .[4] في هذا الإطار تقوم الثقافة بإنتاج تصوراتها التي تعلمها لكل من الجنسين منذ مراحل الطفولة الأولى ، ومن ثم تبني تصور كل جنس لذاته وللآخر في الوقت نفسه ، ليعيد كل فرد إنتاج كل تلك المفاهيم مرة أخرى عبر فعل تراكمي وتطويري مما يرسخها كبنى أساسية في تصور الذات والآخر المشابه أو المختلف .

يرى عدد من الباحثات النسويات أن الحديث عن الهوية الأنثوية أو الذكورية يخرج الأمر عن نطاقه البيولوجي لكي يأخذ بعدا اجتماعيا وثقافيا وأيديولوجيا وذلك نظرا إلى ما تحيل إليه الهوية " من أبعاد اجتماعية وثقافية تمكن الأنا –حسب إريكسون – من بلورة مجموعة من التمثلات حول الذات ، كما تمكن الآخر من تعريف هذه الذات وتحديدها وموضعتها وفقا لما حددته الثقافة ، مما يعطي الهوية بعدا سيكواجتماعيا واضحا يجعل منها وظيفة من وظائف الثقافة . لكل مجتمع آلياته الخاصة في التعامل مع هذه الفوارق البيولوجية وتكييفها ضمن سيرورة تنشئوية يتعلم فيها الفرد ما معنى أن يكون رجلا أو امرأة " [5]. وبذلك يتشكل مفهوم الفرد لذاته وللآخر وفق ما تنشئه عليه الثقافة ليعتبرها مسلمات غير قابلة للمراجعة أو التدقيق . وتجادل سيمون دو بوفوار في

أن الرجال يرون النساء كآخر ، الأمر الذي يسمح لهم ببناء هوية إيجابية ذاتية بوصفهم " مذكر " . ولأن ما هو " آخر " لا يملك هوية في حد ذاته ، فغالبا ما يعمل كفضاء فارغ يعزى إليه أي معنى تختاره الجماعة المهيمنة ، وبذا تتحول المرأة التي يسبغ عليها الرجال ثوبا أسطوريا إلى موقع تخيلي لأحلامهم ومخاوفهم ، فعبر العديد من الثقافات توجد " الأنوثة " لتمثل الطبيعة والجمال والنقاء والطيبة وتختزل في كونها انفعالية ، ظريفة وحساسة وعاطفية وساذجة، لكنها تمثل أيضا الشر والفتنة والفساد والموت ، وغالبا ما يتمثلها الرجل على أن لها صورة مزدوجة ومخادعة تجسد الفضائل الأخلاقية ونقيضها ، وذلك في مقابل السمات الذكورية التي تتمثل في العنف والسيطرة والفاعلية والمغامرة ، والقوة والعقلانية والاستقلالية .[6] وهكذا يتضح أن كل ما هو إيجابي يعزى للمذكر في حين يمثل المؤنث كل ما هو سالب وناقص .

تشكل التربية العامل الأول في الحفاظ على هذا النسق الثقافي والتقسيم الجندري ، ومن ثم تقسيم الأدوار بين النساء والرجال داخل المجتمع بحيث تتحول هذه التقسيمات – كما ترى جانين أندرسون – إلى نماذج نمطية غالبا ما تعرقل إدماج المرأة وتمس تحررها ، إذ تعلم الطفلة كيف تصبح امرأة وفق قوالب جاهزة واتجاهات ومقاييس تحدد " الأنوثة " المصادق عليها .[7] وبذلك يمكن القول إن التقسيمات بين الجنسين ترجع في أساسها إلى مكونات ثقافية وليست بيولوجية ، ومع ذلك فقد حصرت ثقافات عدة هوية المرأة في جسدها على اعتبار أن اختلافها عن الرجل يرجع في أساسه إلى مكونها البيولوجي في حين أنها صفات أنتجتها الثقافة الذكورية وعززتها عبر التربية والممارسات التي تبرر عددا من العلاقات الاجتماعية والمفاهيم التي ترتبط بها ، وتبرر حجب المرأة وإقصائها عن الحياة العامة ، أو مطالبتها بالخضوع والطاعة وما يمكن أن يسمى بقوانين الحياء .وقد ذهب إبراهيم الحيدري إلى أن هذه النظرة الثقافية قد أدت إلى اضطهاد المرأة وتهميشها عبر أشكال ثلاثة أولها الاضطهاد النوعي الذي يعني تفوق الرجل على المرأة وسيادته عليها من أجل تحقيق مصالحه الخاصة والعامة ، مما أدى إلى طمس شخصية المرأة والتقليل من أهميتها . وثانيها الاضطهاد الأبوي / الذكوري الذي يظهر في سيادة الرجل على المرأة في العائلة والمجتمع والسلطة . ويظهر في تسلط الأب على العائلة بشكل يوجب خضوع الأم والأولاد ، وفي سيطرة الولد على البنت حتى لو كانت أكبر سنا . وثالثها الاضطهاد

القانوني الذي ينبثق من الاضطهاد الأبوي ، والذي ينعكس في القوانين الوضعية والعرفية التي تضطهد المرأة في حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .[8]

تبني الثقافة مفاهيمها التي تقسم الأدوار والصفات بين الجنسين ، وعندما تهيمن الثقافة الذكورية فإن تقسيم الأدوار يتبع مصلحة المهيمن ومقاييسه ، ومن ثم تغدو المرأة هي " الآخر " الأقل والأدنى منزلة ، كما يتم تعيين صفاتها بما يتفق ورغبات المهيمن وما يمكن أن يجعلها ملكية خاصة له ، شأنها في ذلك شأن بقية الأشياء التي يمتلكها . وتناقش سيمون دي بوفوار في أن "الامتياز الذي يتمتع به الرجل والذي يشعر به منذ طفولته هو أن ميله لأن يكون إنسانا بشريا مستقلا لا يتعارض مطلقا مع مصيره كذكر ، أما المرأة فإن المجتمع يطلب منها ان تكون متعة وفريسة لكي تكتمل عناصر أنوثتها ، وهذا يعني بالنسبة لها التخلي عن مطلبها في أن تكون إنسانا حيا يتمتع بالسيادة ".[9] إن الرجل يشعر بحريته وإرادته ، وهو يتصل مع العالم اتصالا حرا بينما يحفل وجود المرأة بالكثير من القيود والمتطلبات التي وضعت أساسا من قبل الرجل لإرضائه وتحقيق رغباته ومصالحه . ألم يقل أفلاطون : " الأنثى هي أنثى بسبب نقص في الصفات " ![10] وهنا يتعين على المرأة أن تنضوي تحت النموذج وأن تمتثل لمتطلباته خضوعا لمتطلبات الثقافة الذكورية من جهة ، وتماهيا مع الدور المعطى لها من قبل تلك الثقافة من جهة أخرى . ويتفق هذا مع مفهوم " العنف الرمزي " كما حدده بورديو فقوة النظام الذكوري تتراءى أمرا يستغني عن التبرير ، ذلك أن رؤية مركزية الذكور تفرض نفسها كأنها محايدة ، وأنها ليست بحاجة إلى أن تعلن عن نفسها في خطب تهدف إلى شرعنتها . والنظام الاجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها .[11]

" المرأة " في " أخبار النساء " :

يهتم كتاب " أخبار النساء " لابن قيم الجوزية بحكاية أخبار النساء والتأريخ لهن ، وفن الخبر ، بما هو فن نثري أدبي عربي قديم ، عادة ما يقوم على مقدمات استهلالية تهتم بإسناد الخبر إلى راو أو رواة متعددين ، وعلى متن سردي يحكي فيه الراوي متن الخبر وموضوعه . وما يعنينا هنا هو ذلك المتن الذي يحكي عن فئة مخصوصة من المجتمع هي " النساء " ، الذي لا يهتم بامرأة معينة أو بفئة محددة من النساء ، بل يلتفت إلى " جنس " النساء بصورة عامة ليحكي أخبارهن . وقد يبدو أن هذا المتن معني بالتأريخ في المقام

الأول إلا أن الخبر يجمع بين شكل من أشكال التاريخ وبين سرد فني يمتزج فيه الشعر بالنثر ، الحكاية والتاريخ . والأخبار تخاطب في المتلقي عبر الشعر والنثر حواس متعددة وترسخ في وعيه ولا وعيه نماذج وصورا عن النساء كما تراهن الثقافة وكما يصنفهن اللاوعي الجمعي . وبين الخبر والحكاية والتخيل والفكاهة والسخرية والجد يقدم الخبر تصوراته عن النساء ، تلك التصورات التي تخفي وراء حيلها الجمالية تلك أنساقا ثقافية ضمنية تحدد رؤية الثقافة الذكورية للمرأة وللأدوار التي حددتها لها وعملت على ترسيخها بين الأجيال ، وجعلتها أنماطا ثابتة واعتقادات يحملها الناس عن النساء ويخضعون لها .

1- إعلاء قيمة الجمال

يتخذ الجمال مكانة عليا عند الحديث عن النساء ، لكن الناظر في الأخبار يرى أن جمال الوجه والجسد يتقدم على ما عداه ، وداخل اللغة تكمن التمثلات التخييلية التي تقدمها الثقافة عن الجسد الأنثوي ، وصفات المرأة المثالية كما يراها الرجل وكما يريدها . وتجادل سيمون دي بوفوار في أن كل ما كتبه الرجال عن المرأة يجب أن يثير الشبهات لأنهم خصوم وحكام في الوقت نفسه ، وقد سخروا اللاهوت والفلسفة لحماية قوانينهم ومصالحهم .[12] ويمكن لهذه المقولة أن تشي بالكثير من الصحة عند تفكيك أخبار النساء والنظر في الأنساق الثقافية الكامنة خلفها . وإذا كان الرجل يعتبر جسده كائنا حرا مستقلا فإن الثقافة تخضع جسد المرأة لكثير من التنميط والحدود والقيود ، والناظر في كثير من كتب التراث يرى أن الكتابة عن جسد المرأة كتابة وصفية ترسم حدود المسموح به والممنوع حتى يغدو الجسد جسدا خاضعا لمنظومة قيمية محددة ، أي جسدا منضبطا .[13] وقد ساد الاعتقاد بأنه بالجمال وحده تحتل المرأة موقعا في سلم النظام الاجتماعي فـ" الأمر بالحسن منوط بهن ، فمهما كانت المرأة أحسن كان أعظم لشأنها وأعز لمكانها "[14] وذلك يعني أن العقل والذكاء يتراجعان شأنهما في ذلك شأن العلم . ومن هنا لم تكن الثقافة معنية بوصف القبيحة وقامت بتهميشها ، ويتم التركيز على الدمامة والقبح غالبا مع المرأة الخارجة عن الأعراف أو المرأة التي تخرج عن رضا الرجل وطاعته فيقوم بذكر عيوبها الخلقية أو الشكلية .

يورد ابن الجوزية خبر الأعرابي والجارية مع معاوية ومروان بن الحكم ، وحين تحضر الجارية إلى المجلس فإن أول ما يقدمه الخبر عنها : " فإذا بجارية رعبوبة لا تبقي

لناظرها عقلا من حسنها وكمالها ".[15] هذا الحسن هو الذي جعل الأعرابي يهيم بعشقها ، وهو ما دفع بمروان بن الحكم إلى إرغامه على تطليقها ، وما دفع أيضا بمعاوية إلى مساومة الأعرابي عليها عند رؤيته لها . وقد بدأ الخبر بأن الفتاة هي ابنة عم الأعرابي ، ثم عاد ليتحدث عنها تحت مسمى " الجارية " وللجارية قوانين خاصة في التعامل وفق الثقافة العربية حيث تربى على فكرة التأثير في الرجال لتسحرهم بأناقتها وبوقفتها ورقة حركاتها وترتفع قيمتها حين تجمع بين الجمال والذكاء والعلم إضافة إلى مقياس الحب والهوى .[16] ولعل اختيار مسمى الجارية هنا قد جاء لتبرير صفات الغواية والجمال التي تتمتع بها هذه المرأة ، وتبرير آخر ضمني لضعف الرجال ذوي الجاه والسلطة أمامها (الخليفة وابن عمه) . كما يقدم الخبر تبريرا ضمنيا آخر يزيد من قيمة هذه المرأة التي امتثلت لقيم الثقافة حين اتسمت بقيم عليا هي الوفاء للزوج والصبر عليه في الشدة والرخاء والعافية والبلاء .[17] وتلك فضيلة عليا حيث ترى الثقافة أن من واجبات المرأة طاعة الزوج والتفاني في خدمته والصبر عليه وعدم التخلي عنه ، وبذلك تتماهى المرأة مع ما هو متوقع منها ومطلوب منها فترفض عرض الخليفة وتختار زوجها عليه .

ويقدم الخبر مقياسا جسديا لجمال المرأة فالرعبوبة هي الغضة الطويلة ممتلئة الجسم وتلك صفة جمالية مطلوبة في المرأة ، وقد أورد ابن الجوزية عددا من الأخبار التي تصف جمال امتلاء المرأة وامتلاء عجيزتها : " سئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا هم بهن ، فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ... التي تطيع زوجها ، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الولود ، التي كل أمرها محمود ." [18] ويلاحظ أن الخبر يسند إلى أعرابي ذي هم بالنساء ، وهذا يجعله عارفا مصدقا وخبيرا بأحوال النساء وصفاتهن . كما يلاحظ أن الخبر يبدأ بتقديم الصفات الجسدية على ما سواها ، ثم يجمعها مع دور مهم للمرأة وهو كثرة الإنجاب " الولود " مع قيمة عليا هي طاعة الزوج ، ومن يجتمع لها كل ذلك كان أمرها محمودا . يكشف النص هنا عن الدور الجمالي والوظيفي للمرأة فالصفات المطلوبة هي صفات ترتبط أساسا بالجنس وبإمتاع الرجل ، كما ترتبط بالنسب وتكثير الأبناء ، وقد أوردت آمال قرامي ما يتفق مع هذا الخبر وأن الامتلاء وتسمين الجسد صفات جوهرية في جمال المرأة العربية قديما ، فقد قيل : " خير النساء التي خمص بطنها وعظمت عجيزتها وملأت حضن معانقها

" ، " ما رأيت على امرأة أجمل من شحم ، ولا رأيت على رجل أجمل من فصاحة ." وترى أن اكتناز الجسد علامة على السكون والثبات وقلة الحركة ، وأمارة على الترفه واكتمال الأنوثة . وهذا يعني أن المجتمع احتفى بالجسد المكتنز المعبر عن تدفق الشهوة، لكونه اعتبر جسد المرأة ذا خاصة أيروسية ، وحوله إلى وليمة . [19] من هنا فإن أغلب الصفات الجسدية المرغوبة في المرأة هي ما كانت تتفق وإرضاء رغباته وإثارة شهوته ، وتحقيق متعته ، كالبياض والرقة واللين والامتلاء وضيق الفرج والصفاء ونعومة الملمس وطيب العرق مما يجسد الصورة المثلى والمرغوبة التي يبحث عنها الرجل ، والحورية التي يسعى إلى التمتع بها في الدنيا قبل الآخرة . [20] فكان على المرأة أن تعنى بجسدها وأن تتجمل وتتزين لتحقق تلك الصورة المرغوبة والمطلوبة.

2-الصفات الخلقية والمعنوية :

تقسم الثقافات الأدوار بين الجنسين ، وفي الوقت نفسه تقوم بتحديد صفات كل منهما ، وعبر التنشئة تكتشف المرأة معنى الأنوثة كما يكتشف الذكر معنى الذكورة . وغالبا ما ترتبط صفات الذكورة بالقوة والهيمنة وكل ما هو موجب في حين ترتبط الأنوثة بكل ما هو ناقص وسالب . ولعل مفهوم " المرأة " ومكانتها ووضعها في المجتمع من أكثر المفاهيم التي تثير الجدل ، والتي يمكن أن تكشف أنساقا ثقافية متجذرة في بنية المجتمع . وقد انطلقت معظم الدراسات النسوية من مقدمتين أساسيتين ، أولهما أن بين الرجال والنساء مؤسسة تقوم على عدم المساواة التي تعاني النساء بسببها من انعدام العدالة الاجتماعية ، وثانيتهما أن انعدام المساواة بين الجنسين ليس نتيجة لضرورة بيولوجية ، لكنه ناتج عن الفروق التي تنشئها الثقافة بينهما . [21] ومنذ الحضارات القديمة كانت المرأة تعني السلبية المعاكسة للنشاط والفوضى المناوئة للنظام . يقول فيثاغوروس : " هناك مبدأ خير انبثق من النظام والنور والرجل ، ومبدأ شر خلق الفوضى والظلمة والمرأة " .[22] وتقوم التربية بتعزيز هذه السلبية في المرأة وتعلمها الأدوار المنوطة بها والمختزلة في الإنجاب وتدبير شؤون المنزل وطاعة الرجل ، فالفتاة في طفولتها تعطى دمية تدللها وتزينها ، وتعتبر نفسها دمية رائعة . ومن خلال كلمات الإعجاب والاستهجان ومن بين الصور والكلمات تكتشف معنى (جميلة) و (قبيحة) . [23]وإذا ما أرادت أن تحظى بقبول الآخر والمجتمع فإن عليها أن تمتثل لقوانينه وأن تتماهى مع الصفات المحددة لها ، والأدوار المنوطة بها .

2/أ الطاعة والوفاء :

إذا ما كانت المرأة كيانا ناقصا فإن ذلك يعني أنها لا يمكن أن تقوم بنفسها ، ولا أن تكون ذاتا مستقلة ، فهي محتاجة دوما إلى من يأخذ بيدها ويسوسها وهو الرجل متمثلا في الأب والأخ ثم الزوج . من هنا كان على المرأة أن تمتثل لقيمة عليا هي " طاعة الزوج " . وفي باب " أوصاف النساء " يرد الخبر التالي : " قال معاوية لصعصعة : أي النساء أحب إليك ؟ قال : المواتية لك فيما تهوى . قال : فأيهن أبغض إليك ؟ قال : أبعدهن لما ترضى . قال معاوية : هذا النقد العاجل ، فقال صعصعة : بالميزان العادل " .[24] يأتي هذا الخبر في الصفحات الأولى لأخبار النساء وهو بذلك يكتسب قيمة افتتاحية إرشادية تأخذ بيد القاريء صوب تأكيد النسق المضمر ، ويزيد في تلك القيمة أن الخبر يسند إلى معاوية والرأي يقدمه رجل من المشاهير في أنساب العرب مما يكسب الخبر أهمية ومصداقية . وعند النظر في الجمل الثقافية التي يقدمها الخبر نجد أن أساس التفضيل الذي يقدمه الخبير لا يستند إلى مبرر عقلي أو منطقي بل يستند إلى الرغبة والهوى (ما تهوى ، ما ترضى) ، والطاعة هي مقياس التفضيل ، الطاعة العمياء للرجل فيما يحب وهذا هو " الميزان العادل " . ويلاحظ هنا أن الخبر يكرس مقياس الثقافة في دونية مكانة المرأة كما يكرس الهيمنة الذكورية ، فلا رأي للمرأة هنا ، ولا قانون لما يحبه الرجل ويهواه .

ما تطلبه الثقافة من المرأة هو الطاعة المطلقة ، وهو ما يؤكده خبر آخر بحديث منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويرويه عبد الرحمن بن عوف : " إذا صلت المرأة خمسها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، دخلت الجنة " .[25]يضع هذا الخبر طاعة المرأة لزوجها في منزلة واحدة مع أداء أعظم فروض الدين وهي الصلاة ، وبذلك تغدو طاعة الزوج أحد مداخل الوصول إلى الجنة . وفي موقف عكسي تغدو طاعة الرجل لزوجته في بعض الأمور مدخلا إلى النار: " عن علي : من أطاع امرأته في أربع أكبه الله في النار على وجهه ، أن يطيعها في أن تذهب إلى العرسات وإلى المعلمات وإلى الحمامات وإلى الجنائز " .[26] يكشف هذا الخبر نسقين مضمرين في الثقافة أولهما الهيمنة الذكورية وانعدام المساواة بين الرجل والمرأة ، فالرجل هو المسيطر والحاكم وصاحب القيادة والقرار ، ومن ثم فإن طاعة الزوجة عيب يقدح في مفاهيم الذكورة والرجولة . وثانيهما رؤية الثقافة للمرأة وأنها مكمن فساد وخطر وأن على الرجل حبسها في البيت ومنعها من

الخروج إلى الفضاء العام ، ومنعها من الاختلاط بالأخريات منعا للشبهة والفساد . وتنازل الرجل عن أحد هذين الأمرين يعد أمرا عظيما لا تغتفره الثقافة له ، ومن هنا كان العقاب عظيما فيكب على وجهه في النار . وإذا ما أخذنا بأن الوجه هو مقياس شرف الإنسان وكرامته ، وان أول ما يتعرض للعقاب هو هذا الوجه فإن ذلك يكشف ضمنا عن أن كرامة الرجل وهيبته هي أول ما يتعرض للنقص والعقاب إذا ما أطاع المرأة .

تتفق فكرة طاعة المرأة لزوجها مع وفائها له ، فكان الوفاء من الصفة المحمودة ، وفي كتاب الأخبار يورد ابن الجوزية بعض قصص وفاء النساء ، ويلاحظ أن هذه الصفة يشترك فيها المرأة والرجل ، فحين كانت المرأة وفية لزوجها أو لمحبوبها كان الرجل كذلك . بل إن وفاء الرجل يكاد يغلب وفاء المرأة ، فرغم أن الأخبار ينبغي أن تركز على النساء إلا أن أخبار العشاق الذين ماتوا على العهد تكاد تفوق أخبار النساء ، وكأن الثقافة تضن على المرأة بهذه الصفة فتساويها بالرجل وتقول ضمنا إنه يتفوق عليها فيها فلا فضل لها في ذلك . ومما ورد من الأخبار خبر المرأة التي تبكي على قبر زوجها وهي بكامل زينتها فأنكر عليها ذلك رجلان مرا بها فقالت : " بعلي وكان يحب أن يراني في مثل هذا الزي فآليت على نفسي أن لا أغشى قبره إلا في مثل هذا الزي لأنه كان يحبه أيام حياته ، وأنكرتماه أنتما علي . " [27] يبدو وكأن الخبر يمجد قيمة الوفاء في هذه المرأة لكنه يكشف في الوقت نفسه عن الهيمنة الذكورية ومدى تماهي هذه المرأة مع ما تتوقعه الثقافة وما تطلبه منها . فالثقافة تعلي من شأن المرأة المطيعة لزوجها الممتثلة لأمره ، وتطلب منها أن تتجمل وتتزين له ، فالمرأة الصالحة هي التي تواظب على الزينة ، وهي التي تعلم ما يحبه زوجها وكيف يحب أن يراها . والخبر السابق يركز على ترسيخ هذه الصفة فيجعل المرأة تهتم بذلك وبأن تكون على ما يحب زوجها حتى بعد وفاته . وهذا ما وصفه بيار بورديو بالعنف الرمزي حيث تستجيب النساء للهيمنة الذكورية ويمتثلن لها ولا يستطعن سوى تأكيد الحكم المسبق لها عليهن ، فيبدين خضوعا إراديا لما يطلب منهن ، بل إنهن قد يدافعن عن قيم الثقافة التي تقوم باضطهادهن . [28] وهذا ما فعلته المرأة التي رأت في تزينها بما يحب زوجها عملا عظيما لا يستوجب الاستنكار بأية حال ، وبذلك تظل خاضعة لإرادة الزوج ورغباته حيا كان أو ميتا . من هنا حرص ابن الجوزية على تصوير أخبار وفاء مثل هذه المرأة ، وأن يعلي من قيمة مثيلاتها حتى لو أقدمن على أفعال قد تبدو غير مقبولة كأن تكسر امرأة

أسنانها وتهشمها لأن رجلا أعجب بثغرها وأراد الزواج منها بعد وفاة زوجها ، وأن تصوم أخرى عن الكلام بعد وفاة زوجها لأن زوجها كان معجبا بصوتها .[29] هكذا يكون وجود المرأة هو وجود من أجل الآخر ، وجود مرتبط بالزوج ، هي الطرف السلبي الذي عليه أن يستجيب للثقافة بل ويدافع عن قيمها . ورغم أن الوفاء قيمة إيجابية في حد ذاته إلا أن مثل هذه الأخبار تكشف عن مدى ترسخ الصورة التي وضعتها الثقافة عن المرأة ، وكيف صارت المرأة تستجيب للتنشئة الاجتماعية وأن وجودها مرتبط بالرجل ، وأن هدفها هو إرضاؤه ، ومن ثم فإن جسدها لا قيمة له بعد غيابه ، وبذلك تعيد الثقافة تكرار ذاتها وقيمها لتصبح راسخة على مر الأجيال .

2/ب : الغدر

يرى عدد من النسويات أنه يتعين علينا الاعتراف بأنا نعيش في ثقافة يهيمن عليها الذكور ، والحديث عن هذه الهيمنة لا يقتصر على العصر الحديث بل هو قديم قدم التاريخ حيث عاشت المرأة عصورا من التسلط والقهر والإقصاء والتبعية . وغالبا ما شكلت المرأة كيانا سلبيا وكانت صورتها في ذهن الرجل ماكرة وخادعة وغادرة وجاهلة جهلا طبيعيا ، وهي إنسان غير كامل ، ناقصة ولا عقل لها ، أو ناقصة العقل على أقل تقدير. المرأة وفق هذه الرؤية كيان سلبي ، وفضائلها لا يمكن أن تتأكد إلا في نفي مزدوج كرذيلة مذللة أو كضرر قليل ، ومن ثم لا بد من ضبطها والحرص على مراقبتها وإخضاعها . ويتضح التحيز الذكوري ضد المرأة في سمات ألصقت بها ، فهي المرأة الغواية ، الشر ، الخيانة ، الغدر ، وقد وصف بعض الفلاسفة الغربيين المرأة بشر الصفات فرأى جان جاك روسو أنها المصدر الأول لشرور العالم ، وعقابها هو إخضاعها لسلطة الرجل ، وهي لا ترقى إلى العمل الإبداعي ولا التفكير العقلي فهما مما يستأثر به الرجل ، أما نيتشه فيصدر بحقها أحكاما شديدة القسوة إذ يرى المرأة ليست أهلا للصداقة ، وهي لا تعرف غير الحب ، وحبها ينطوي تعسف وعماية تجاه من لا تحب . لم تبلغ المرأة بعد ما يؤهلها للوفاء كصديقة ، فما هي إلا هرة وقد تكون عصفورا ، وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة . هي ليست أهلا للصداقة . هي شيطان وآلة جنسية لتحقيق متعة الرجل ، وهي مخلوق عبودي وليس حر الإرادة والأفعال . إنها دابة لا تخضع إلا بضربات السياط . وقد وصفت الثقافة العربية النساء بأن لهن " عوائد رديئة " ومعتقداتهن سخيفة تناسب درجة عقولهن ،

وتليق بأفهام الصبيان في سنهم الأولى . ثم إن النساء " أرق وأبكى .. وأذكر لمحقرات الأمور ، وأقوم بالتعهد وأكسل وأقل حماية " .[30]

أورد ابن الجوزية عددا من صفات النساء في معرض حديثه عن أخبارهن وأفرد بابا بعنوان صفات النساء غير أن الصفة الأبرز التي وردت بصورة واضحة كانت صفة الغدر والخيانة ، فقد أفرد لهذه الصفة بابا خاصا ، كما جاءت أيضا مفرقة في ثنايا الأبواب الأخرى . وإذا كان الوفاء والطاعة من الصفات المحمودة لها فإنهما استثناء على اعتبار أن الغدر من شيم المرأة الأصيلة ، ومتى ما وجدت الفرصة فإنها ستجنح إلى الغدر والخيانة لا محالة . ويلاحظ أن ابن الجوزية لا يدخر جهدا في تأكيد تلك الصفة ، فهو لا يقتصر على الخبر وحده بل يوثق تلك الأخبار بالحديث وما أثر عن الصحابة وما روي عن الشعراء ، " ففي الحديث المرفوع أن المرأة خلقت من ضلع عوجاء ، فإن ذهبت تقومها كسرتها ، فاستمتع بها على عوج فيها " .[31] ومعنى ذلك أن طبيعة المرأة لا تستقيم أبدا . وفي الشعر:

لا تأمن الأنثى حبتك بودها إن النساء ودهن مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم[32]

ويلاحظ أن بنية عدد من الأخبار التي تتحدث عن غدر النساء تكاد تكون متطابقة ، مما يوحي بأنها أخبار متخيلة أوردت لترسيخ هذه الصفة في المرأة والتحذير منها ، فتكاد تتفق الأخبار على وجود رجل وامرأة يزورهما أو يلتقيان برجل فيه وسامة فتراوده المرأة عن نفسه ، وغالبا ما يمتنع الرجل وفاء لوفادة صاحبه ، أو احتراما لقرابة أو عهد بينهما . ومن ذلك خبر ابن هبيرة الغساني الذي غزا الحرث بن عمر فلم يصبه في منزله ، فأخرج ما وجد له واستاق امرأته فأصابها في الطريق ، وكانت من الجمال في نهاية ، فأعجبت به ، فقالت له انج فو الله لكأني به يتبعك كأنه بعير أكل مرارا . فبلغ الحرث الخبر فأقبل يتبعه حتى قتله ، وأخذ ما كان معه . وأخذ امرأته فقال لها : هل أصابك ؟ قالت نعم ، والله ما اشتملت النساء على مثله قط . فقتلها ثم أنشد :

كل أنثى وإن بد لك منها أية الود حبها خيتعور
إن من غره النساء بود بعد هذا لجاهل مغرور[33]

ويلاحظ أن الخبر هنا يؤكد على سمة الغدر في المرأة ، فهي مستعدة للخيانة حتى مع الرجل الذي غزا زوجها وسباها ، بل إنها تنسى عشرة زوجها وترى أن النساء لم تر مثل ابن هبيرة كما أنها تعجب به بعد علاقة جنسية بينهما ، وهذا يحيل أيضا إلى صفات أخرى إلى جانب الغدر وهي قوة الغريزة الجنسية وسخف العقل والاندفاع في العواطف ، وهي كلها صفات تبرر حصار المرأة وعدم الثقة بها .

غالبا ما تتفق الأخبار أيضا في أن المرأة سريعة التقلب والميل ، ويميل قلبها إلى الأصغر سنا والأكثر وسامة ، ومن ذلك : " خرج عمرو بن سعيد العبدي يريد سفرا له ، فأخذته السماء في بعض الطريق فإذا هو بقصر عظيم فعدل إليه وقرع بابه ، فخرج إليه عبد الله بن يزيد فعرفه ، فسلم عليه وأنزله ، وهيأ له طعاما ، ثم دعا بشراب من خمر عتيق ، فينما هما يشربان إذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاما شابا ، وسكر زوجها سكرا شديدا ، فخرجت المرأة إلى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته إلى نفسها فأبى وقال : ما كنت بالذي أفعل برجل أتاني إلى منزله . ولم يزل يدافعها حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره ، فأنشأ عمر يقول :

رب بيضاء وخصرها يتثنى قد دعتني لوصلها فأبيت
لم يكن شأني العفاف ولكن كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد ، فلما انصرف عمرو بن سعيد عمد عبد الله إلى المرأة فجعل في عنقها حبلا وعلقها به إلى السقف ، فاضطربت حتى ماتت ، وعلم أن النساء لا حفظ لهن ، وآلى على نفسه ألا يتزوج امرأة أبدا ، وترك قصره وعاد إلى منزله .[34] يحمل الخبر السابق عددا من الجمل الثقافية التي تكشف النظرة الدونية للمرأة ، فكل ما هو سالب وغدار يلتصق بها في حين يتصف الرجل بالمروءة والشهامة والوفاء . ويكثف الخبر فعل خيانة المرأة فهي تعيش في قصر عظيم وهذا يعني أن من تعيش معه قد وهبها العز والدلال وبالتالي لا مبرر للخيانة إلا إن كانت مغروسة في طبعها . وهنا يقلب الخبر الأدوار فالمرأة تتحول إلى طالبة وتقوم بدور الفاعل في حين يصير الرجل الوسيم هو المطلوب ، لكنه دور محمل بدلالات ضمنية سلبية ، فهي تبادر في فعل غدر وخيانة ، كما أنها هي من تبدأ وتقوم بفعل التلصص ، وبذلك يؤكد الخبر ضمنيا على أهمية حجب النساء وإقصائهن ، فهي محكومة بغرائزها ولا رادع لها فلا بد من حبسها . كما تنقلب

الأدوار أيضا حين تتخلى المرأة عن صفة مطلوبة فيها وهي " الحياء " ، ولأنها صفة إيجابية فإن من يتمتع بها هنا هو الرجل الذي استكبر فعل الخيانة . هنا لا بد من اتحاد القوى بين الرجال من أجل ردع المرأة فيصر عمرو بن سعيد على إخبار نديمه بخيانة المرأة ، ويأتي العقاب شديدا ومباشرا ليوصل الخبر فكرة ضمنية أخرى وهي أنه لا بد من ردع المرأة وعقابها بقوة وشدة إن هي تمردت أو خالفت المتوقع منها ، أو غدرت بمن يمتلكها . وتأتي جملة " وعلم أن النساء لا حفظ لهن " لتطلق الحكم على عموم جنس النساء فمن علم هو الرجل الذي تعرض للخيانة لكن علمه جاء مؤكدا لصفة راسخة يعلمها الرجال وتحفظها الثقافة من جيل إلى آخر.

لا تركز الأخبار في معظمها على شراكة الرجل في فعل الخيانة ، ولا على دوره كمحرض عليها ، لأن الرجل خارج التصنيف ، ولأن المرأة هي مكمن الشر والغواية ، كالرجل الذي مر على سلمى بنت كعب التي كانت مع ابن عمها الذي أنقذها من الغزو وتزوجها ، لكنه تعرض لجرح أثناء محاولة إنقاذها فأقعده . لكن سلمى تجازي المعروف بالغدر فهي تتذمر من قعوده قائلة لجيرانها " لا حي يرجى ، ولا ميت فينسى " ، ودفعها هذا التذمر إلى الرد على رجل عابر مر بها وهي قائمة فقال : أيباع هذا الكفل ؟ فقالت عن قريب ، فسمعها زوجها ومات قهرا . [35] المرأة الغادرة تستجيب لرجل عابر ولا تقيم وزنا لمعروف من أنقذها . كما أنها هنا لا تستجيب لمقاييس الحرائر حول عزة النفس ، فالعابر يخاطبها بلغة البيع والشراء وهي لا ترى في ذلك ضيرا مادام العرض يوافق هواها ويرضي حاجاتها الجسدية . الخبر لا يدين الرجل العابر الذي تعدى على حرمة بيت سلمى وابن عمها فهو يبحث عن متعته في امرأة أعجبه جسدها ولا يضيره ذلك . وهو الأمر ذاته في حكاية ضباعة بنت عامر مع هشام بن المغيرة وزوجها عبد الله بن جدعان ، فهي تروى في باب غدر النساء لأنها طلبت الطلاق من زوجها في حين أن هشام بن المغيرة هو من حرضها عليه وهو من وعد بتنفيذ شروط زوجها عند طلاقها [36]. ضباعة هي الغادرة إذ استجابت لهشام وهذا يؤكد مرة أخرى على أن الثقافة تدين المرأة ، كما تشير أيضا إلى اعتبار المرأة سلعة يسعى لامتلاكها من يعجب بها ويمتلك المال والمقومات للحصول عليها . لا تلوم الثقافة الرجل لأنه يسعى للحصول على ما يمتعه حتى لو أخذه من زوج أو صديق ، والمتعة هنا تتجسد

في المرأة التي تعد غنيمة شأنها شأن أي غنيمة أخرى يفوز بها الأقوى والأجمل والأكثر مالا .

يمكن الوقوف في باب غدر النساء عند خبر طويل يقلب الأدوار المتصلة بالمرأة ويأتي بخلاف ما تعارفت عليه الثقافة ، وهو حكاية أبي نواس مع جارية مر عليها مع صاحبه فأعجبته ووقع صريع جمالها ، لكنه لم يحظ منها بغير الكلام الجميل وذهب من عندها متحسرا ، لكنه عاد فالتقاها بين صويحبات لها ، فعرفن بأمره ولمنها على عدم وصله . هنا تبدأ الجواري بالتلاعب بالرجل وكل واحدة تعده بشيء وتحرض صاحبته على وصله ، ثم يصلن إلى اتفاق بأن يتشاركن فيه ويعدنه بوصلهن جميعا ، وحين يقمن القرعة تقع على أجملهن ، كما يحكي الراوي ، فيذهب الرجل إلى مغارة قريبة سعيدا بالوصل المنتظر ليفاجأ بأنهن أرسلن له عبدا أسود في حالة هياج جنسي ، ويكاد أبي نواس يقع ضحية ذلك العبد لولا أن خلصه صاحبه منه ، فخرج وهو يشعر بالخزي الشديد والفتيات يتضاحكن من أمره . [37] يقلب هذا الخبر الأدوار الثقافية ، فالمرأة هي المتحكمة والفاعلة والرجل هو المفعول به ، لكنه يتفق مع ما عرف عن جواري المتعة في الثقافة العربية ، فهؤلاء تتم تنشئتهن ليوقعن الرجال في حبائلهن . تربين على فن الإغواء وتعلمن كيف يسيطرن على مولاهن بالإغواء الجسدي وبتعلم الغناء وقرض الشعر ومختلف العلوم ، ويتفق الخبر مع هذه المعلومات فالجارية تقول الشعر وتضارع شاعرا مثل أبي نواس فتغلبه ، وفي الوقت نفسه تمتلك الفتنة والإغواء وتستجيب لمقاييس الجمال المثالي . إن تنشئة الجارية قد تجعلها تتفوق على معلمها وتشعره بالخجل ، وتلك صفة منسوبة إلى الأنثى لما فيها من إبداء الضعف والانكسار (ينصرف أبو نواس في نهاية الخبر وهو يشعر بالخزي) وهذا يعني أن التنشئة إذا تغيرت يمكن أن تقلب الأدوار. وقد بارك المجتمع هذا القلب لأنه يراعي مصالحه ، فهو لم يصنع نساء بقدر ما كون وسائل إمتاع للرجل . [38] غير أن المتعة لا تتحقق هنا لأن الجارية تلجأ إلى الكيد والغدر. ومما يلفت النظر هنا أيضا اتفاق الجواري فيما بينهن من جهة ، واتفاقهن مع العبد من جهة أخرى ، فكأنه اتفاق للفئات المهمشة على الفئة المهيمنة ، الطبقة الدنيا (الجواري والعبيد) تسعى إلى الانتقام والتفوق على الرجل / السيد / الحر ، والفعل الجنسي هنا يصير فعل هيمنة وتمرد في الوقت نفسه ، غير أن فرار الرجل وعدم تحقق الفعل يمكن أن يؤكد انتصار الفئة المهيمنة

في النهاية . وهكذا تؤكد الثقافة قيمها ومفاهيمها وتصنيفاتها ومن ثم فإن قلب الأدوار هو قلب صوري لا أكثر .

2/ج : قوة الغريزة الجنسية :

لقد تحدث العرب عن الجنس ومفاهيم الفحولة ، غير أنهم لم يروا في غريزة الرجل عيبا بل رأوا أن الفحولة من سمات الرجولة ، ومن هنا أباح الله للرجل تعدد الزوجات كما أباح له التسري بما ملكت يمينه . " وغالبا ما يتحدث المرء عن الفعل المباح والقوة الذكرية باعتبارهما هبة طبيعية وميزة لا تعوض . ولكن عندما يكون الحديث عن الأنثى فهم يتكلمون عن تقديس الأمومة والحب الطاهر والعفة والكرامة وقدسية العلاقات الجنسية من جهة ، وعن مكر الأنثى وإغرائها باعتبارها شيطانا أو أفعى لعوبا ، وعن طرق غوايتها للرجال وإيقاعهم بشباكها المحكمة " .[39] وغالبا ما يستند تبرير القوة الجنسية الذكورية إلى مراجع دينية تؤكد أن ذلك مما يمتاز به الرجل وما كرمه الله به .[40] غير أن هذا التبرير يختفي تماما إذا ما جاء الحديث إلى رغبة المرأة ومتعتها ، عندها لا تلتفت الثقافة إلى مسألة متعة المرأة بوجه عام ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الثقافة لا ترى في المرأة كائنا مستقلا بقدر ما ترى فيها كائنا خلق لإشباع رغبات الرجل فقط . غير أنا يمكن أن نلمح نوعا من التناقض هنا فالثقافة ترفض قوة الغريزة عند المرأة بل إنها تخاف منها ، ولذلك تطالب بحجبها وإقصائها عن الفضاء العام من جهة ، وإلزامها بالتستر والحجاب من جهة أخرى، وفي الوقت نفسه لا تفكر في حقوق المرأة بالمتعة . وقد يرتبط هذا الخوف والرفض بمسألة أخرى هي اقتناع الثقافة الذكورية بنقصان عقل المرأة ومن ثم فإنها تتبع غريزتها التي تتحكم فيها والتي قد تقودها إلى الغدر والخيانة كما ورد سابقا .

المرأة في " أخبار النساء " كائن شهواني لا يستطيع التحكم في رغباته ، وبرغم ذلك فإن عليها أن تستجيب لرغبات الرجل لا لرغبتها ، وإذا ما أراد الرجل السيطرة عليها فإنه يدخل إليها من هذا الباب : " وقع بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع ، فقالت له : أبعدك الله ! كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا أطيق رده " .[41] يتحدث الخبر السابق بلسان المرأة بينما هو يكشف عن نسق خفي يعبر عن وجهة نظر الثقافة الذكورية في أن المرأة مخلوق للمتعة والجنس ، ولهذا قيل : " أربع لا يشبعن من أربع : عين من نظر

، وأذن من خبر ، وأرض من مطر ، وأنثى من ذكر." [42] ولعل استخدم صيغة التنكير هنا يفيد التعميم ومطلق الجنس ، ويفيد العطف المساواة بين المعطوفين ، فتحضر المرأة كائنا من كائنات الطبيعة ، وإذا كان العربي يعيش في أرض قليلة المطر فإن حاجة الأرض للماء تساوي حاجة المرأة للمتعة اللانهائية . وإذا كانت المرأة كائنا ناقص العقل ، لا يستطيع التفكير وحده ولا يمكنه العيش باعتباره كائنا مستقلا فإن الحاجة إلى الرجل الحامي والمهيمن تغدو مسالة بدهية لا تحتاج إلى تبرير . ومن هنا وجبت مراقبتها لكبح جماح شهوتها ، ووجب حبسها في البيت ومنعها من الخروج ومن التواصل مع العالم الخارجي . شغلها بشؤون البيت والأسرة ورعاية الزوج أمور ضرورية لأنه لو خلا بالها فإنها ستعشق أي طارق لبابها . ويرتبط هذا التصور بفكرة الغدر التي تتأصل في طبيعة المرأة ، من هنا فهي سريعة الهوى وقد تعشق لمجرد الصوت ، وما إن يصف لها رجل حبه وشوقه حتى تمكنه من نفسها وتغدر بزوجها أو مولاها فكان ذلك كله أدعى إلى مراقبتها لحمايتها من نفسها . [43]

في خبر طويل يمنع رجل عطارا حسن الصوت من النداء على بضاعته على مسمع من نساء بيته، وعندما استغرب رجل آخر الأمر تأتي المبررات : " قلت أراه يستولي على قلوب الرجال . قال فكم قلب الرجل على التهتك من قلب المرأة ؟ هذا إذا كانت قد بلغت من السن مبلغا ونقصت شهوتها ، فأما إذا كانت شابة ولها فضل جمال ومعها شدة شهوة وكثرة لذة ، وهي ذات حاجة وخالية الذرع من الفكرة في المعاش ، وخالية القلب وقد أمنت ضرب الرجل وتطليقه ، وغيرة الأخ ، وقلة صيانة الأب ، وأصابت من يشجعها على فعلها ، ويفتح لها أبواب نظرها ، ويسعى لها في طلب الصديق ، ويحرضها على التهتك ، وقد قرب منها الصوت ، وخلت من الرقيب ... فما يمرق السهم من الرمية كمروق هذه إلى الباطل . " [44] يتحدث الرجل هنا بصوت الجماعة ويقدم مبررات حبس المرأة ومنعها من الاستماع إلى صوت العطار الذي يمثل فكرة الرجل ونموذجه . يقدم المبرر الأول فكرة التراتبية التي تبنى عليها الثقافة الذكورية ، فإذا كان الرجل بما وهب له من الحزم والعقل والقوة والصلابة يمكن أن يتأثر بالصوت الجميل فما حال المرأة التي سلبت كل ما سبق ؟ ثم يكشف الخبر نسقا ضمنيا آخر وهو التصنيف العمري للمرأة فإنها تفقد شهوتها متى كبر سنها ، وهذا يبرر الزهد فيها وإهمالها حيث تنتفي وظائفها الأساسية المتمثلة في الإنجاب

وفي إمتاع الرجل ومن ثم تفقد مبرر وجودها . ومع ذلك ورغم هذا التصور إلا أنها تظل مكمن خطر لأن ذلك لا يعفيها من احتمال وجود الشهوة وبالتالي التأثر بالرجل وعشقه . المبرر الثالث يكشف نسقا آخر حول خطورة المرأة إذا كانت شابة وجميلة وذات رغبة فهذه لا يمكن السيطرة عليها . وتقدم المبررات التالية أهمية حبس المرأة ومنعها من التواصل مع العالم الخارجي ، فلا ينبغي أن تكون خالية البال ولا أن تأمن العقاب ، وهنا أيضا تتبدى الهيمنة الذكورية في أن المرأة بحاجة دوما إلى الإحساس بعدم الأمان والاستقرار وأن لا تأمن الخوف من الطلاق أو الضرب ، كما أن الرقابة ينبغي أن تكون سلسلة متصلة بين الأب والأخ والزوج وإلا حصل المحظور وتبعت هواها ، ويكون ذلك أسرع من رمية السهم الأمر الذي يبرر ضرورة الحذر واليقظة الدائمة . مرة أخرى تتبدى الهيمنة الذكورية في أوضح صورها فالمرأة هي الكائن الأدنى ، وهي الكائن الشبق الضعيف الذي لا يستطيع كبح جماح رغباته ، وهي أيضا الخطر الذي يهدد باستمرار أمان الرجل في سيطرته على ملكيته الخاصة فحق له حبسه وتأديبه وتخويفه لكبح جماحه .

لقد كان رجحان عقل الرجل هو مبرر هيمنته وتفوقه في حين كان نقصان عقل المرأة مع قوة شهوتها مبرر دونيتها وضرورة عزلها ومراقبتها . وإذا كان جسد الرجل هو محور العقل والكمال فجسد المرأة هو مكمن الغريزة والهوى والنقص . ولا شيء يمكن أن يؤكد ذلك أكثر من شهادة المرأة على المرأة أو شهادتها على نفسها : " وكانت هند بنت المهلب من عقلاء النساء ، وكانت تقول : شيئان لا تؤمن عليها المرأة : الرجال والطيب . "[45] في هذا الموقف تحديدا يمكن وصف المرأة بالعقل لأن في ذلك دعما للرؤية الذكورية الجمعية ، ووصف هند بأنها من عقلاء النساء يؤكد أنها كانت مستثناة بين جنس النساء ، ومن هنا فإن رأيها يحمل قيمة مضاعفة على أنه لا يمكن أن يؤمن جانب المرأة أمام الرجل . هذا كله يبرر إحساس الرجل بالغيرة على نسائه ، كما يبرر وضع باب كامل لما جاء في غيرة الرجال رغم أن الكتاب معني بأخبار النساء . الحديث عن غيرة الرجل يعني ضمنيا أن المرأة غير مأمونة الجانب ، فهي تمتلك غريزة قوية ، وإذا تركت وشأنها مالت لغير زوجها أو مولاها ، ويؤكد ذلك الخبر الذي يروى على لسان بعض العلماء : " وقال بعض العلماء لشدة شهوة الباه في قلوب النساء ، وتمكنه منهن ، وشدة غيرته ، يقول : ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة ، إنما المصيبة في معاتبتها إياه ، فإنها إن نظرت إليه

ووقع بقلبها موقع شهوة لم يلبث أن تصير في يده ، وتبعث الرسائل والأشعار والتحف . " [46] النظر وحده مبرر لوقوع المصيبة ، والمرأة لا تفكر ولا تختار فهي كائن تحركه الغريزة ، وفي حكاية يوسف وزليخا وخطيئة حواء الأزلية مستندات يحفظها الوعي الجمعي ويؤكد فيها على غدر المرأة وضعفها أمام غرائزها . كما يحمل الخبر رسالة ضمنية أخرى وهي أنه لا ينبغي أن تتعلم المرأة الكتابة لأن ذلك سيدفعها إلى مغازلة الرجال ومكاتبتهم ، وذلك يزيد من خطرها ، لذا ينبغي أن تظل جاهلة حبيسة البيت في ملكية زوجها أو مولاها فقط وتحت رقابتهما .

لقد اقتضى تحصين الزوجة إحكام مراقبتها لأنها تفتقر إلى الوازع الديني والأخلاقي وعاجزة عن ضبط النفس وصون عرضها . ولذا مثلت غيرة الرجل أهم وسيلة من وسائل فرض سيادته على أهله وضبطها بدافع حمايتها من نفسها . وهي غيرة يمدح بها الرجل لأنها علامة على قدرته على صون ممتلكاته ، كما أنها طريقة من طرق إصلاح سلوك الزوجة . أما غيرة المرأة فإنها في كثير من الأحيان متكلفة ، تتصنعها المرأة لا حبا في امتلاك الزوج بل لنيل الحظوة عنده والانتصار على الضرائر أو السريات اللاتي ينازعنها فيه . [47] غيرة الرجل وسيلة هيمنة وسيطرة وأداة عقاب ، كما أنها أصيلة في حين أن غيرة المرأة متكلفة ومن هنا نفت الثقافة إحساس المرأة بالغيرة والألم أمام تعدد الزواج ، وقدمت تبريرات متعددة لمسألة التعدد تنم في عمقها عن نسق ذكوري فحولي ومنه ما ذكره ابن قيم الجوزية حين قال : " أما أن يكون الله قد قصر عدد الزوجات على أربع ، وحلل امتلاك عدد غير محدود من الإماء ، فذلك علامة على رحمته الكاملة ، وعلى كمال الشرع المطابق للحكمة وعلى الشفقة والمصلحة ، ذلك أن الزواج مطلوب للجماع وإرواء الرغبة . ولكن هناك بين الناس أولئك الذين تسيطر عليهم الشهوة فلا تكفيهم امرأة واحدة . " [48] تخفي أحادية الرؤية هنا نوعا من التناقض ، فهذه الرؤية التي تقر بعظمة شهوة المرأة لا تستطيع أن توجد حلا لذلك غير حبسها ومراقبتها وتأديبها ، لأن غريزتها ستقودها إلى الباطل ، وهذا يكشف مرة أخرى النظرة إلى المرأة التي لا تعترف بها كيانا إنسانيا مستقلا ومساويا للرجل . ومن هنا فإن من يتحدث عن غيرة النساء غير مصيب : " وقال بعضهم : لذة المرأة على قدر شهوتها ، وغيرتها على قدر لذتها . واستدل بإفراط غيرتها على إفراط حرصها . وهذا القول خطأ فقد علمنا أن الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل

. وربما كان الذي يبدو من المرأة عند تسري زوجها بالسراري وتزويجه المهيرات وحين تراه مع بعضهن توهيما للفعل أن ذلك من الطربة والكراهة للمشاركة فيه ... وليس شكل ما تلقى المرأة إذا رأت على فراشها من شكل ما يلقى الرجل إذا رأى على فراش امرأته رجلا ، لأن المرأة قد عاينت الرجل له أربع نسوة وألف جارية يطؤهن بملك اليمين ، لما أحله الله في الشريعة . " [49]

لقد نفت الثقافة عن المرأة مسألة الغيرة ، وكأنه بذلك تنفي عنها الإحساس بالفردية والاستقلال . وطالبتها بالصبر على الغيرة لأن الشرع أجاز للرجل أربع نساء وما ملكت يمينه من الجواري ، واعتبرت الجماعة أن الغيرة هي " منع الحريم ، وحماية الحوزة ، لأجل حفظ النسل والنسب .[50] ويرتبط ذلك بتعلق الفرد بما يمتلكه من جهة ، وباعتبار المرأة شيئا من ضمن الأشياء ولا قيمة لها في حد ذاتها . قيمتها فيما تؤديه من وظائف ، وهي للرجل ملك من أملاكه ووسيلة لاستمرار النسل ، ومن ثم وجب الحفاظ عليها لاقترانها بالشرف والنسب . هنا يمكن أن نفهم الأخبار التي أوصت بمراقبة المرأة وتخويفها بالعقاب ، كما يمكن أن نفهم إعلاء قيمة الغيرة عند الرجل على اعتبار أنها مما يرتبط بالفحولة والشرف وصيانة العرض . كما يمكن أن نفهم الأخبار التي أوصت بعدم تعليم المرأة الكتابة ، وأن الجهل أصلح لها وأنفع ، وعدم تركها خالية البال لأنها تقع في حب الرجل بالوصف لا بالمعاينة ، وقد تعشق بالصوت فقط : " ولو أردن الجماع لكفتهن الآذان . " ، " فإن النساء أسرع شيء ذهاب قلوب إلى النغمة الحسنة ، فإن كان حسن وجه برئت المرأة من الله إن لم تحتل في صرف قلبه إليها ، ويصير الزوج قوادا . " [51] وهذا تأكيد على ضعف المرأة وفي الوقت نفسه على شدة حيلتها وإصرارها إن أرادت شيئا ، وتخويف للرجل من العار الذي ستجلبه له (يصير قوادا) . لا ينبغي أن يكون للمرأة دور مهم في المجتمع ، ولا ينبغي أن تخرج وأن تخالط الآخرين بما في ذلك النساء لأن لديها سلطة خفية وقوة تمكنها من السعي وراء ما تريد . إن خرجت لن يكون لها شغل سوى التصدي للرجال لفتنتهم ، وفي الوقت نفسه هي ضعيفة أمام حسن الوجه وجمال الصوت وعذوبة الكلمات ، وأحدها يكفي لتمكين الرجل من نفسها ولوقوعها في العشق . وفي ذلك لا تراعي المرأة مكانتها ولا مكانة الرجل الذي يستهويها فلا هدف لها غير إرواء الغريزة : " وقيل لابنة الحسن : لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر ، وما أغراك به ؟ قالت طول السواد وقرب الوساد

. ولو أن أقبح الناس وجها وأخبثهم نفرا وأسقطهم همة ، قال لامرأة قد تمكن كلامها وأعطته سمعها : والله يا سيدتي ويا مولاتي لقد أتعبت قلبي ، وأرقت عيني ، وشغلتني عن مهم أمري ، فما أعقل أهلا ولا مالا ولا ولدا ، لنقض طباعها ، وفتح عقدها ، ولو كانت أبرع الخلق جمالا وأكملهم كمالا ، وإنما قال عمر رضي الله عنه : اضربوهن بالعري ... فمتى ما كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها . ولو كان بعلها أتم حسنا والذي رأت أنقص حسنا ، لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه ... " .[52]

يكشف الخبر السابق عن مدى إيمان الثقافة بخطورة المرأة وأنها في موقع اتهام وإدانة ، فهي لا تختار وتضعف أمام من يغويها ولو كان أدنى منها منزلة . ومما يلفت النظر المقولة التي نسبت إلى عمر بن الخطاب " اضربوهن بالعري " ، فهذه المقولة تكشف عن آلية الثقافة في التعامل مع المرأة لإجبارها على البقاء في البيت ، وقد ترددت المقولة ذاتها في خبر آخر عن عقيل بن علقمة الذي كان شديد الغيرة وأراد سفرا ، فقيل له أين غيرتك على من تخلف ؟ قال " " أخلف معهن الجوع والعري ، فإنهن إذا جعن لم يمزحن ، وإذا عرين لم يبرحن ." [53] ولعله مما يلفت النظر أن سيمون دي بوفوار في مناقشتها للهيمنة الذكورية أوردت رأيا لبلزاك يحث فيه الزوج على إبقاء المرأة في حالة خضوع تام ، وعليه أن يرفض تعليمها ، وأن يمنع عنها كل ما من شأنه أن يطور شخصيتها ، وأن يفرض عليها ثيابا غير مناسبة ، وأن يفرض عليها نظام يضعف جسدها."[54] أليست هي الفكرة ذاتها حول الجوع والعري رغم تباعد الزمن واختلاف الثقافة ؟ إن ذلك يؤكد أن الثقافة الذكورية تختار الآليات ذاتها ووسائل الهيمنة لنفسها ما دامت تنطلق من رؤية واحدة تؤمن بأن المرأة آخر ناقص لا عقل له ولا أمان ، وأنها تابعة للرجل وشيء من أملاكه له حق التصرف فيها وتأديبها كيف شاء .

خاتمة :

تسعى الثقافة الذكورية إلى فرض هيمنتها على المرأة باعتبارها كائنا ناقصا ، ونقصان عقلها كان مبررا لحرمانها من عديد من الحقوق وسببا لتفضيل الرجل عليها ، وإعطائه حق التصرف فيها. ويكشف مفهوم المرأة عن أنساق متجذرة في الوعي الجمعي تجلت بصورة مباشرة وغير مباشرة في عدد من النصوص الأدبية والمقولات المأثورة ، وما كتب عن النساء واهتم بسرد أخبارهن . وقد كشفت مراجعة كتاب " أخبار النساء " عن

تلك التحيزات التي امتثلت للثقافة الذكورية وعمقت فكرة الهيمنة على المرأة والإحساس بدونيتها . لقد رددت الأخبار مفاهيم نسقية عن المرأة ، فالجمال الذي يعلى شأنه هو جمال الجسد ولا مكان للعقل أو الروح ، ويبرز في تحديد صفات الجمال ما يرتبط بإشباع رغبة الرجل وتحقيق متعته بشكل أساسي ، في حين لم تلتفت الأخبار إلى القبيحات ولم ترو خبرا عنهن . وكان أول ما يبدأ به الخبر عن امرأة هو جمالها الآسر الذي يقع الرجل صريعا له . ويزداد الجمال وتعلو قيمته ، وبالتالي قيمة المرأة ، عندما يقترن بفكرة الطاعة ، فخير النساء الجميلة المطيعة الساكنة في منزلها ، والمهتمة بشؤون أسرتها . وهذا يؤكد على النظرة الوظيفية للمرأة التي تحددها في إمتاع الرجل وإسعاده ، وفي حفظ النسب واستمرار النسل .

تكشف " أخبار النساء " أيضا عن تحيز آخر ضد النساء حين تؤكد أنهن مجبولات على الغدر والخيانة ، سريعات الهوى ، لا هدف لهن سوى إشباع غريزتهن القوية ونهمهن الجنسي . وفي ذلك تغدو المرأة كائنا شبقا لا يهمها مكانة الرجل ولا موقعه أو جمال ملامحه ما دام يشبع رغبتها . ورغم ما تبديه بعض الأخبار من تناقض عن سعي النساء وراء الرجل الوسيم والصغير في السن من جهة وبين قبولهن بأي رجل حتى لو كان عبدا من جهة أخرى ، إلا أن النسق الضمني واحد ويتصل بقوة الشهوة عند المرأة وسعيها وراء شهواتها وعواطفها . وفي بعض الأحيان يقوم الخبر بقلب الأدوار فنرى المرأة طالبة لا مطلوبة ، فاعلة ومبادرة وتكسر نمط الثقافة حول فكرة الحياء ، لكنه قلب غير محمود وظاهري فقط لأنه يقوم على باطل . ومن هنا فإن الدور الحقيقي يكون للرجل الذي يمتثل لقيم الثقافة حول الرجولة التي ترتبط بالفضل والعقل والوفاء والقوة وضبط النفس ، لتنفي ، في الوقت نفسه ، هذه الصفات عن المرأة ، ولا تدين بأية حال الرجل الذي يشاركها فعل الغدر أو يحرضها عليه . بذلك كله تأتي الأخبار تأكيدا لدونية المرأة وتبريرا لموقف الرجل منها ولضرورة حبسها في المنزل ومنعها من الاختلاط بالآخرين وشغلها بالأعباء المنزلية والخوف الدائم من العقاب والتأديب . أخبار النساء سرد عن المرأة برؤية ذكورية تعمق الهيمنة وتسعى إليها وتبررها وتؤصلها لتستمر في ذاكرة الثقافة جيلا بعد جيل .

الهوامش:

[1] حول هذا الأمر انظر ، ميشيل فوكو وآخرون ، التحليل الثقافي ، تحرير روبرت وشتو وآخرون ، ترجمة فاروق أحمد مصطفى وآخرون ، مراجعة وتقديم أحمد أبو زيد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط (1) ، 2008 ، ص 10 ، 11 .

[2] انظر ، عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط (6) ، 2014 ، ص 68 ، 69

[3] انظر ، المصدر السابق ، ص 72 ، وحول الأنساق واستهلاكها والحيل الجمالية التي تشترط فيها ، انظر ، المصدر السابق ، ص 77، 79 ، حفناوي بعلي ، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، الدار العربية للعلوم –ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط (1) ، 2007 ، ص 21 ، 50 ، 51

[4] انظر ، مصطفى محسن ، في الثقافة والاختلاف – نحو مقاربة سوسيو ثقافية نقدية للمسألة النسائية ، المركز الثقافي للكتاب ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط (1) ، 2018 ، ص 15 ، 25

[5] خلود السباعي ، الجسد الأنثوي وهوية الجندر ، دار جداول ، بيروت ، الكويت ، ط (1) ، 2011 ، ص 247 ، 248

[6] حول هذا الفهم للمرأة ، انظر ، بام موريس ، الأدب والنسوية ، ترجمة سهام عبد السلام ، مراجعة وتقديم سحر صبحي عبد الحكيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ع (474) ، ط (1) ، 2002 ، ص 47 ، خلود السباعي ، الجسد الأنثوي وهوية الجندر ، ص 273

[7] انظر ، خلود السباعي ، الجسد الأنثوي وهوية الجندر ، ص 273

[8] انظر ، إبراهيم الحيدري ، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب ، دار الساقي ، بيروت ، ط (1) ، 2003 ، ص 13

[9] سيمون دي بوفوار ، الجنس الآخر ، ترجمة لجنة من أساتذة الجامعة ، مرجع إلكتروني ، ص 309 ، وانظر أيضا ص 89 ، 90 ، 92 ، 118

[10] المصدر السابق ، ص 6 وانظر أيضا رأي أرسطو في أن المرأة مرأة لنقص فيها ، وعليها أن تلزم بيتها كتابعة لزوجها ، ص 49

[11] انظر ، بيار بورديو ، الهيمنة الذكورية ، ترجمة سليمان قعفراني ، مراجعة ماهر تريمش ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط (1) ، 2009 ، ص 27 ، 28 ، 32 ، 46

[12] انظر ، سيمون دي بوفوار ، الجنس الآخر ، ص 8

[13] انظر ، آمال قرامي ، مساءلة الجسد الأنثوي في التفكير الإسلامي ، الخميس ، 2/15/ 2019 ، www.alantologia.com

[14] آمال قرامي ، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية- دراسة جندرية ، المدار الإسلامي ، بيروت ، ط (1) ، 2007 ، ص 194

[15] محمد ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء ، عرض وتحقيق د / نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1982 ، ص 17 ، 18

[16] انظر حول صفات الجواري ، وفاء الدريسي ، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية – مقاربة جندرية ، مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، ط (1) ، 2016 ، ص 26 ، 46 ، 55 ، 74 ، 79 ، 97 ، 102 ، آمال قرامي ، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية ، ص 183 ، 184 ، 190 ، 191

[17] ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء ، ص 20

[18] المصدر السابق ، ص 11

[19] انظر ، آمال قرامي ، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية ، ص 179 ، 180 وانظر أيضا مثل هذا الربط ، مصطفى الغرافي ، المرأة ونظام الثقافة : هيمنة الذكورة ، السبت 2019/2/16 ، www.diwanalarab.com

[20] انظر ، وفاء الدريسي ، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية ، ص 103 ، 126 ، وأخبار تورد هذه الصفات ، ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء ، ص48 ، 63 ، 76 ، 79 ، 80 وحول اهتمام المرأة بزينتها وجسدها واهتمام الثقافة بذلك ، انظر ، آمال قرامي ، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية ، ص 176 ، 338 ، 408

[21] انظر ، بام موريس ، الأدب والنسوية ، ص 29 ، 30

[22] سيمون دي بوفوار ، الجنس الآخر ، ص46 ، وحول هيمنة الذكورة وثانوية دور المرأة ، انظر ، نادرة السنوسي ، الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضد قابلية المرأة للتفكير ، ضمن كتاب الفلسفة والنسوية، إشراف وتحرير ، د/ علي عبود المحمداوي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ضفاف ، بيروت ، ط (1) ، 2013 ، ص 24 ، 25

[23] انظر ، المصدر السابق ، ص 89، 92 ، 118

[24] اين قيم الجوزية ، أخبار النساء ، ص 9

[25] المصدر السابق ، ص 52

[26] المصدر السابق ، ص 119

[27] ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص 127

[28] انظر ، بيار بورديو ، الهيمنة الذكورية ، ص 59 ، 66 ، 103

[29] انظر ، ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء ن ص 133 ، 139 ، وأخبار أخرى عن مثل هذا الوفاء ، 125 ، 128 ، 131 ، 133

[30] انظر ، آمال قرامي ، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية ، ص 144 ، وحول السمات السلبية التي ألحقتها الثقافة بالمرأة ، انظر ، بيار بورديو ، الهيمنة الذكورية ، ص 51 ، إبراهيم الحيدري ، النظام

ISSN 2437-0819 EISSN: 2602-6333

الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب ، ص 279 ، حفناوي بعلي ، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، ص 122 ، آمال علاوشيش ، المرأة في مرآة الفلاسفة ، ضمن كتاب الفلسفة والنسوية ، ص 50

[31] أبن قيم الجوزية ، أخبار النساء ، ص 144 ، ومنه " شاوروهن وخالفوهن " ، ص 145

[32] المصدر السابق ، ص 11 ، وانظر أيضا ص 144، 145 ، 147 ، وغيرها

[33] ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء ، ص 22 ، ويلاحظ أن البيت الأول ورد في موضع آخر على لسان الملك عمرو مع تغيير بسيط (بعد هند لجاهل مغرور) وهو ما يوحي بأن الأبيات يمكن أن تكون مخترعة لتعزيز الخبر وتأييده فقط ، او أنها سارت مضرب المثل في الاستشهاد على غدر النساء . انظر ، ص 144 ، ومثال آخر ، ص 52

[34] المصدر السابق ، ص 120 ، 121 ، وانظر أخبارا أخرى مماثلة وتندرج تحت البناء نفسه ، ص 123 ، 153 -155 ، 156 ، 171 -173 ، 177

[35] ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء ، ص 154 ، 155

[36] المصدر السابق ، ص 148 ، وانظر أيضا ص 167 ، 177 ومما يدخل في غدر النساء أيضا الأخبار الكثيرة التي رويت عن نساء عاهدن أزواجهن على عدم الزواج بعد وفاتهم لكنهن نكثن بالعهد ، ويلاحظ أن بنية الخبر نفسها ترد في باب الوفاء ، رجل وامرأة يتعاهدان لكن المرأة في كل مرة تخون أو تفكر بالخيانة ، في باب الوفاء يظهر الزوج الميت أو الحبيب فتتراجع المرأة ، أما في باب الغدر ، وهو الأكثر ، فلا تتراجع المرأة بل تصر على الزواج مرة أخرى . ويلاحظ أن الثقافة تقبل زواج الرجل بعد وفاة زوجته لكنها ترى في فعل المرأة غدرا للعهد ، فهي بفعلها ذاك تتمرد على مالكها وتخون عهده . انظر ، ص 149 -151

[37] انظر الخبر مفصلا ، المصدر السابق ، ص 158-165

[38] انظر ، وفاء الدريسي ، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية ، ص268 ، 269

[39] إبراهيم الحيدري ، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب ، ص 275

[40] انظر ، المصدر السابق ، ص 276 ، 277

[41] ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص 10

[42] المصدر السابق ، ص175

[43] انظر مثلا خبر سليمان بن عبد الملك مع المغني يسار ، ابن قيم الجوزية ، أخبار النساء ، ص 107 ، وأمثلة أخرى ، ص 108 ، 113

[44] المصدر السابق ، ص97 ، 98

[45] ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص 98

[46] المصدر السابق ، ص 93 وانظر الخبر عن سعيد بن سلمان ، ص 94

[47] انظر ، آمال قرامي ، الاختلاف في الثقافة العربية ، ص 599 ، 600

[48] إبراهيم الحيدري ، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب ، ص 276

[49] ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص 84، وانظر أمثلة أخرى في استحسان الغيرة على النساء ، ص 87 - 90

[50] آمال قرامي ، الاختلاف في الثقافة العربية ، ص 263

[51] ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص 97

[52] المصدر السابق ، ص 95 ، 96

[53] المصدر السابق ، ص 108 ، وانظر أيضا قول علي ص 119 وقد اباحت الثقافة القتل بدافع الغيرة ، انظر خبر امريء القيس مع بناته ، ص 109 ، 110 ، وانظر أيضا مقولة عمر بن الخطاب ، مصطفى الغرافي ، المرأة ونظام الثقافة

[54] انظر، سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ص 59

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊